@ 153 @ تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم) ^ يعني : أنه قدر ذلك الغم والمصيبة عليكم لكي تتوطن نفوسكم وتمرنوا على الصبر على المصيبات ويخف عليكم تحمل المشقات : ^ (ثم أنزل عليكم من بعد الغم) ^ الذي أصابكم ^ (أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم) ^ | ولا شك أن هذا رحمة بهم وإحسان وتثبيت لقلوبهم وزيادة طمأنينة ؛ لأن الخائف لا يأتيه النعاس لما في قلبه من الخوف فإذا زال الخوف عن القلب أمكن أن يأتيه النعاس | وهذه الطائفة التي أنعم ا عليها بالنعاس هم المؤمنون الذين ليس لهم إلا إقامة دين ا ورضا ا ورسوله ومصلحة إخوانهم المسلمين | وأما الطائفة الأخرى الذين ^ (قد أهمتهم أنفسهم) ^ فليس لهم هم في غيرها لنفاقهم أو ضعف إيمانهم فلهذا لم يصبهم من النعاس ما أصاب غيرهم ^ (يقولون هل لنا من الأمر شيء) ^ وهذا استفهام إنكاري أي : ما لنا من الأمر - أي : النصر والظهور - شيء فأساؤوا الظن بربهم وبدينه وبنبيه وظنوا أن ا لا يتم أمر رسوله وأن هذه الهزيمة هي الفيصلة والقاضية على دين ا قال ا في جوابهم : ^ (قل إن الأمر كله) ^ الأمر يشمل الأمر القدري والأمر الشرعي فجميع الأشياء بقضاء ا وقدره وعاقبتها النصر والظفر لأوليائه وأهل طاعته وإن جرى عليهم ما جرى | ^ (يخفون) ^ يعني المنافقين ^ (في أنفسهم ما لا يبدون لك) ^ ثم بين الأمر الذي يخفونه فقال : ^ (يقولون لو كان لنا من الأمر شيء) ^ أي : لو كان لنا في هذه الواقعة رأي : ومشورة ^ (ما قتلنا هاهنا) ^ وهذا إنكار منهم وتكذيب بقدر ا وتسفيه منهم لرأي : رسول ا صلى ا عليه وسلم ورأي : أصحابه وتزكية منهم لأنفسهم فرد ا عليهم بقوله : ^ (قل لو كنتم في بيوتكم) ^ التي هي أبعد شيء عن مظان القتل ^ (لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم) ^ فالأسباب - وإن عظمت - إنما تنفع إذا لم يعارضها القدر والقضاء فإذا عارضها القدر لم تنفع شيئا بل لا بد أن يمضي ا ما كتب في اللوح المحفوظ من الموت والحياة ^ (وليبتلي ا ما في صدوركم) ^ أي : يختبر ما فيها من نفاق وإيمان وضعف إيمان ^ (وليمحص ما في قلوبكم) ^ من وساوس الشيطان وما تأثر عنها من الصفات غير الحميدة | ^ (وا عليم بذات الصدور) ^ أي : بما فيها وما أكنته فاقتضى علمه وحكمته أن قدر من الأسباب ما به يظهر مخبات الصدور وسرائر الأمور | (155) : ^ (إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا ا عنهم إن ا غفور حليم) ^ يخبر تعالى عن حال الذين انهزموا يوم أحد وما الذي أوجب لهم الفرار وأنه من تسويل الشيطان وأنه تسلط عليهم ببعض ذنوبهم | فهم الذين أدخلوه على أنفسهم ومكنوه بما فعلوا من المعاصي لأنها مركبه ومدخله

فلو اعتصموا بطاعة ربهم لما كان له عليهم من سلطان | قال تعالى : ^ (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان) ^ ثم أخبر أنه عفا عنهم بعدما فعلوا ما يوجب المؤاخذة وإلا فلو آخذهم لاستأصلهم | ^ (إن ا غفور) ^ للمذنبين الخطائين بما يوفقهم له من التوبة والاستغفار والمصائب المكفرة ^ (حليم) ^ لا يعاجل من عصاه بل يستأني به ويدعوه إلى الإنابة إليه والإقبال عليه | ثم إن تاب وأناب قبل منه وصيره كأنه لم يجر منه ذنب ولم يصدر عنه عيب ف الحمد عل إحسانه | (156 - 158) ^ (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل ا ذلك حسرة في قلوبهم وا يحيي ويميت وا بما تعملون بصير * ولئن قتلتم في سبيل ا أو متم لمغفرة من ا ورحمة خير مما يجمعون * ولئن متم أو قتلتم لإلى ا تحشرون) ^ ينهى تعالى عباده المؤمنين أن يتشابهوا الكافرين الذين لا يؤمنون بربهم ولا بقضائه وقدره من المنافقين وغيرهم | ينهاهم عن مشابهتهم في كل شيء وفي هذا الأمر الخاص وهو أنهم يقولون لإخوانهم في الدين أو في النسب : ^ (إذا ضربوا في الأرض) ^ أي : سافروا للتجارة ^ (أو كانوا غزى) ^ أي : غزاة ثم جرى عليهم قتل أو موت يعارضون القدر ويقولون : ^ (لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا) ^ وهذا كذب منهم فقد قال تعالى : ^ (قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم) ^ ولكن هذا التكذيب لم يفدهم إلا أن يجعل ا هذا القول وهذه العقيدة حسرة في قلوبهم فتزداد مصيبتهم وأما المؤمنون فإنهم يعلمون أن ذلك بقدر ا فيؤمنون ويسلمون